درس جديد

فتاة تعلّمنا كيف ننتقد

صدر جزء الشهر الماضي من المقتطف وجيدُهُ حالٍ بمقالة شائقة موضوعها « اناتول فرانس » دبجها يراع فتاة كتّم المقتطف اسمها عن قرائه فلم يعرفوا عنها سوى كونها « فتاة سورية تحسن الفرنسوية والانكليزية »

وكفى هذه المقالة سموّاً ونفاسة انها افادت قارئها عدة امور اهمها ثلثة

اولها اسلوب ترجمتها . فقد برزت في حلة عربية انيقة سداها صفاء السبك وجلاء الذوق . ولحمتها متانة التركيب وصحة التعبير وهذا الاسلوب الرائع الرائق — او السهل الممتنع — امتاز به المقتطف في كل ما ينشئهُ او يترجمهُ . وهذا الامتياز يشهد بهِ رجال القلم في جميع الاقطار العربية. فيحسن بالادباء عموماً والذين يزاولون الترجمة منهم خصوصاً ان يحتذوهُ وينسجوا على منوالهِ

وثانيها ان هذه المقالة فيها من بلاغة الوصف ودقة التصوير ما يشبه اشعة اكس فيوسع لمين المطالع مجال التدبر والتأمل ويمكّنها من اختراق حجب الغموض والخفاء والنفوذ الى اعماق نفس اناتول فرانس النابغة العظيم والوقوف على حقيقة اخلاقهِ وصفاتهِ ومبلغ قيمة كتبهِ ومنزلتها في عالم الادب . وهو اوضح دليل على تفرُّغ الكاتبة للدرس والمطالعة وشدّة تضلّعها من فنون الادب وتجليتها في مضمار الوصف

وثالثها وهو اجدرها بالاعتبار ان كاتبة المقالة اقدمت غير هيّابة ولا وجلة على ما احجم عنهُ معاشر الكتّاب في هذه الايام . فان الانتقاد وهو من اركان النهضة العلمية الادبية عند الامم المتمدنة لا يزال عندنا لسوء الحظ من الاسماء التي لا مسمّى لها لاسباب ليس هنا محل ذكرها واستيفاء الكلام عليها . وقد طالما افاض كتابنا البلغاء في بيان قواعدهِ ووصف منافعهِ وفوائدهِ وظلّ مع هذا كلهِ من الامور التي علمناها ولم نعمل بها . فهو عندنا اما مدح وثناء وتقريظ واطراء لما يكتبهُ الاحباء والاصدقاء واما تنقص وازدراء وافتئات واقتراء على ما يكتبهُ الذين يخالفوننا في العقائد او لا يوافقوننا في الآراء

ولكنّ الآنسة الكاتبة هذه المقالة تقدّمتنا في سبيل النقد العمليّ. فنوّهت بما لاناتول فرانس من الحسنات ولم تغضّ النظر عمّا لهُ في جانبها من السيئات. ولم تصوّرهُ للقرّاء بصورة اله معصوم من الخطا والزلل بل وشّتهُ حقّهُ من حيث النبوغ والتفوّق واشارت الى جانب السخف والضعف في آرائهِ وامياله ومؤلفاتهِ جاعلة ذكر سيئاتهِ مدعاة لتعظيم حسناتهِ في عيون العقلاء الذين خاصت اذهانهم من شوائب التخرّصات والاوهام وتحققوا صدق القول المأثور « كفى المرء نبلا ان تعدّ معايبهُ »

وجملة القول انّ مقالة اناتول فرانس من اغلى التحف وانفس الطرف بل من خير القطوف الدانية في جنة المقتطف. وقد رأيت كثيرين من القرّاء الذين يقدرون فنّ الانتقاد الجميل قدرهُ يشاركوني في الثناء على كاتبتها ربة الحصافة والبراعة ويرجون أن تزيدهم من امثال هذه المقالة التي تسرّ مطالعتها النفوس والقلوب

وقد طلب اليّ غير واحد منهم ان اقترح على المقتطف الاغرّ الذي حلّى عقالتها جيدهُ ان يزين صدره بذكر اسمها واثبات رسمها وما اظنهُ الا ساعياً في اجابة الطلب ان شاء الله

القاهرة اسعد خليل داغر

[المقتطف] هذا لو تمكنا من نشر رسمها او ذكر اسمها فانها انكرت علينا ذلك ولا تزال مصرّة على الانكار. ولكن في معرفة من هي حقيقة علمية مفيدة من مؤيدات مذهب السر فرنسيس غلتون في وراثة النبوغ فان والدها من الشعراء المجيدين ومن الكتاب المعدودين بالعربية وبالانكليزية ايضاً وامها من بيت اشتهر بالعلم والانشاء وهذا حسبنا الآن

اما الانتقاد الذي تشيرون اليهِ وهو الانتقاد الصحيح النافع فقد جرّبناهُ مراراً فعاد علينا وبالاً على ما فيهِ من العناء لاننا قلما انتقدنا كتاباً الاّ رأينا من كاتبهِ الغيظ والحنق او المجادلة والمكابرة ولذلك صرنا نكتفي غالباً بالاشارة الى حسنات الكتب التي تهدى الينا ونظن ان هذا شأن غيرنا من اصحاب المجلات. ولو كانت الآنسة صاحبة المقال ان تنقد شاعراً او منشئاً وطنيًّا لاعتذرت عن ذلك. ولكن هذه الحال لا تدوم